

عرض ثلاث دراسات في

الأدب المقارن

إعداد

أ.د إبراهيم محمد حامد عبد اللاه

رئيس قسم اللغة الألمانية

أستاذ اللغة الألمانية بقسم اللغة الألمانية

كلية الآداب - جامعة بني سويف

الاستشهاد المرجعي:

إبراهيم محمد حامد عبد اللاه (٢٠١٨). عرض ثلاث دراسات
في الأدب المقارن. = حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف.
- مج ٧، ج ٢. - ص ص ٥٤٣ - ٥٦١

مقدمة :

هذا العرض لثلاثة دراسات للأستاذ الدكتور إبراهيم حامد استاذ الأدب الألماني ورئيس قسم اللغة الألمانية بكلية الألسن جامعة بني سويف، والذي ساهم في تأسيس عدد من أقسام اللغة الألمانية في بعض الجامعات المصرية بكليات الآداب والألسن على سبيل المثال جامعات المنيا وسوهاج وبني سويف، وتستمد هذه الدراسات أهميتها في الموضوع الذي تناولته وهو الأدب المقارن؛ فهي تعكس تأثير الرواية المصرية بالرواية الألمانية من خلال اثنين من الروايات لأثنين من كبار الروائيين المصريين أحدهما هو نجيب محفوظ والحائز على جائزة نوبل، أما الدراسة الثالثة فدراسة مقارنة بين طبعتين مختلفتين لرواية واحدة وتبين كيف تؤثر التغييرات الاجتماعية والسياسية بالنسبة لإعادة تحرير ومعالجة نصوص الرواية لتخدم الواقع السياسي والاجتماعي الجديد.

الدراسة الاولى دراسة مقارنة بين توماس مان ونجيب محفوظ نشرت في مجلة الآداب العلوم الانسانية بكلية الآداب جامعة المنيا العدد السابعون يناير ٢٠١٠.

Die Einflüsse von Thomas Manns *Buddenbrooks* auf Naguib Mahfouz *Kairo-Trilogie*
تأثير ثلاثية توماس مان "آل بودنبروك، قصة انهيار عائلة" على "ثلاثية القاهرة" لنجيب محفوظ

أثبت النقد العربي والغربي بأنه يوجد تأثير لرواية توماس مان "آل بودنبروك، قصة انهيار عائلة" على "ثلاثية القاهرة" لنجيب محفوظ من منظور الأدب المقارن: فكلا الروايتين "آل بودنبروك، قصة انهيار

عائلة" لتوماس مان و"ثلاثية القاهرة" لنجيب محفوظ، تلك الرويتان اللتان تكونان متشابهتان في وصفهما لصعود ولتطور لعائلتين من الطبقة الوسطى، ومن ثم انهيارهما، فقد كانا رائداهما الأولين يعملان بالتجارة ويتمتعان بالشخصية الاجتماعية في مرحلة نشأتها الناجحة، فكل واحد منهما أثبت نجاحاً باهراً سواءً في دائرة الأصدقاء في مجتمعه المحيط، أو دائرة الاشتغال بأمور التجارة، فالعائلتين ترتبط مصائرها بصورة متميزة وملحوظة بسبب التدهور الاقتصادي للكيانات اللاتي عملن بهن، فهما على سبيل المثال يمثلان نموذج التدهور، كنموذج من النماذج الموجودة في عالم الأدب، وتعرض الرويتان للبيئة الاجتماعية ومرحلتها الطفولة والشباب لشخص الروايتين في الأدب والواقعي، ف كلا الكاتبين بينا في روايتيهما مدى إرتباط شخص روايتاهما بالمنزل والعائلة، ومن ثم كان ارتباطهما الشخصي والاجتماعي قوي بالمنزل والعائلة والبيئة المحيطة.

إن الأسلوب السردى للروايتين يوضح مدى التزام الكاتبين القصصيان، ولكن كل واحد منهما يتبع استراتيجيات مختلفة تماما عن الآخر نظراً للظروف المختلفة للزمن والبيئة المحيطة، وبالتالي فإننا نجد أن الكاتب "توماس مان" يشير إلى الجانب العاطفي في شخص ثلاثيته، على سبيل المثال نجد "توماس مان" لا يصف فقط إحدى الغرف في منزل العائلة، ولكنه يصف المشهد الكامل للجوانب الروحية والنفسية والعاطفية، أما "نجيب محفوظ" فإنه يدعم قضية النضال الوطني وقضية التحرر من القوى الاستعمارية ونفض أغلاله من كاهل الوطن، ورغبته في تعزيز الدور الاجتماعي والوطني المرغوب فيه من المصريين لحكومة الوفد، حتى أنه يحتج على الظلم الاقتصادي والاجتماعي لأفرد المجتمع.

أما أسلوب السرد الزمني عند كلا الكاتبين، فنجد أن كل واحد منهما يتبع أسلوباً مغايراً لعرض أحداث ثلاثيته وبالأحرى عمله، كما يوجد تباين في طرح وجهات النظر والرؤيا عند الكاتبين، فنجدهما قد علاجا بنجاح رؤياهما الخاصة باستراتيجية عميقة داخل العمل وقدّمها على أكمل وجه، كما إننا نجد من الموضوعات الأساسية المتنوعة والمغايرة في كلا الروايتين، خاصة في التفاصيل الدقيقة في العمليين التي تمثل الروافد للخط الرئيس الذي يتبعه كل منهما، حيث تستحوذ عناصر الإثارة والتشويق على اهتمام القارئ من الصفحة الأولى حتى الصفحة الأخيرة.

ويهدف البحث إلى بيان عملية التأثير الواضح بين هذه العمليين أو بمعنى آخر تأثير ثلاثية "توماس مان" على ثلاثية "نجيب محفوظ"، فقد كان التأثير المتبادل موجوداً بين العالم العربي والاوروبي موجود بالفعل منذ الألف الأولى قبل الميلاد حتى اليوم، أما عن تتبع عملية التأثير المستمرة عبر التاريخ فنجدها طويلة بامتداد التاريخ ذاته، فما تأثير عمل أدبي في الآخر إلا حلقة صغيرة في سلسلة طويلة تتكون من الألف الحلقات، والمتتبع لهذا التأثير في "ثلاثية القاهرة" يدرك تفاصيل المنهج الذي سلكه نجيب محفوظ أثناء كتابته لثلاثيته، والذي يعتبر واحداً من أهداف هذا العمل، كما يهدف العمل أيضاً إلى بيان الخلفيات والظروف الاجتماعية التي أدت إلى نشأت هاتين الثلاثيتين وبيان البيئات الاجتماعية المختلفة ومدى التباين بينهما، ويهدف البحث في جزء منه إلى التركيز على جوانب مهمة من حياة الكاتبين، وخاصة أنهما يعتبران شاهدين على أهم الأحداث التي دارت في المجتمعين اللذان عاشا فيهما الكاتبين، وعما إذا كان هناك من المصادر الفلسفية والأدبية قد اعتمدا عليهما الكاتبان في عمليهما سيتتبع البحث بيان ذلك، ويهدف البحث إلى

بيان أسباب عملية الانهيار لهاتين العائلتين، ومن ثم المجتمعين في الثلاثيتين وكيف جرت إلى اسفل وما هي أوجه التشابه والاختلاف، هذا ما سيتم توضيحه في هذا البحث، وغير ذلك من موضوعات.

عالج البحث في الفصل الأول عمليتي التأثير والتأثر والتبادل الثقافي بين المنطقة العربية والأوروبية، خاصة منطقة البحر الأبيض المتوسط على مدار التاريخ القديم والمعاصر، وفي الفصل الثاني تناول البحث الطبعيتين المختلفتين لكلا البيئتين الاجتماعيتين في الثلاثيتين من جهة وأوجه التشابه بينهما من جهة أخرى، وفي الفصل الثالث ناقش البحث مسار حياة كُلاً من الأدبيين، وعلاقاتهما الشخصية مع الآخرين والتي انعكستا في الثلاثيتين، وكيف عبرا عنهما الكاتبين وما مدى ذلك التعبير، وفي الفصل الرابع من هذا البحث يوضح المصادر الفلسفية والأدبية لكلا الروائيتين، إننا نجد المزاج العام في رواية "آل بودنبروك"، قصة انهيار عائلة" متشائم ويظهر تراجع هذه العائلة بمرور الأجيال، فهذه الرواية هي أول رواية اجتماعية ألمانية احتلت مكانة عالمية في الأدب، ونظراً لنجاح هذا العمل أصبح توماس مان أديباً ذو شعبية كبيرة، خصوصاً بعد منحه جائزة نوبل، كما يجد القارئ في مقابلة أجريت مع نجيب محفوظ لمحرر مجلة الأدب في يونيو عام ١٩٦٠، والذي تحدث في هذا اللقاء باستفاضة عن هذه المصادر، والتي مثلت مصدر إلهام أدبي وقدمت له النماذج الأدبية، وفي هذا اللقاء أشار نجيب محفوظ بوضوح تام إلى أن ثلاثية توماس مان كانت من أهم المصادر الأدبية التي استقى منها النموذج المثالي لثلاثيته، وعرض الفصل الخامس للتدهور التدريجي للعائلتين ومن ثم التدهور في المجتمعين، وفي الفصل السادس تناول البحث وصف لمجموعتين مختارتين من شخوص الثلاثيتين، هما الأكثر أهمية واللذان قاما بتشكيل أهم الأحداث، أما الفصل السابع فقد تناول

خلفية السيرة الذاتية لكلا الأدبيين وعرض لرؤياهما المختلفة، أما الفصل الثامن فقد عالج تقنية السرد الزمني عند كلا من الأدبيين وركز الفصل التاسع على جوانب الاختلاف في الرويتين وخصوصاً على جوانب الاتفاق والتشابه في العملين.

وخلصت الدراسة إلى التبادل التجاري بين الشرق والغرب، والذي كان موجوداً منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، والذي كان متضمناً أيضاً العلوم الطبيعية، وكذلك الحال في مجالي الأدب والفلسفة، لذلك نجد إنه ليس من المستغرب أن رائد الأدب العربي في الرواية نجيب محفوظ زمن كتابة ثلاثيته، أن يقوم بالبحث عن أشكال جديدة للتعبير عن الواقع المصري في الروايات الاجتماعية، فقرأ محفوظ رواية "الحرب والسلام" لتولستوي، ورواية "الفورسايت" لجون جلزورثي، ورواية "شجرة البؤس" لطفه حسين، والأهم من ذلك كله، قراءته لثلاثية "آل بودنبروك، قصة انهيار عائلة" لتوماس مان، وكل هذه الأعمال شكلت لديه مفهوم الرواية العربية الجديدة، فلم يكن جديداً منذ نشأت الروايات الطبيعية في فرنسا على يد مؤسس المذهب الطبيعي "إميل زولا" والأعمال المسرحية من ذلك الزمن، فتضمنت تلك الأعمال قصص وتاريخ العائلات التي تصف البيئة الاجتماعية موضوعات لها، وقد أعجب توماس مان من النموذج الأدبي لرواية الأجيال "لرينيه موبيرين" للأخوين "جونكور" في الأدب الفرنسي، ورأى توماس مان أن هذه الرواية نموذج يمكن أن ينتهجه وينحو نحوه لكتابة ثلاثيته "آل بودنبروك، قصة انهيار عائلة"، إن توماس مان ونجيب محفوظ واصفاً المواقف الشخصية لشخصياتهم، وهذه الممارسة في الكتابة الأدبية أدت لتفاعلهما مع مشاكل المجتمع وانتقاده بشكل إيجابي، واستعرضا جميع الأحداث وشملت لتفاصيل السلوك الفردي، وأيضا الاضطرابات الاجتماعية، ففي "آل بودنبروك، قصة انهيار عائلة"

كما كانت تسلك "تونى" إحدى شخوص رواية "توماس مان" سلوك الناقد الاجتماعي وتحدث بلسان حاد.

الدراسة الثانية دراسة مقارنة بين روايتي "اكفيسوبميرسوس" للكاتب الألماني تيودور شتورم ورواية "الحرام" للكاتب يوسف إدريس نشرت في مجلة فيلولوجى بكلية الآلسن جامعة عين شمس العدد الثامن والستين يناير ٢٠١٧

Eine komparatistische Arbeit zum Thema Sünde, am Beispiel von Theodor Storms Novelle *Aquis submersus* und Jussuf Idris Novelle *Die Sünderin*

دراسة مقارنة حول موضوع "الخطيئة" بين رواية "أكفي سوبميرسوس" لـ "تيودور شتورم" ورواية "الحرام" ليوسف إدريس.

يقوم البحث على عرض الخطوط العريضة لسمات الأساسية للكاتبين "تيودور شتورم" و"يوسف إدريس"، ثم يعالج البحث البيئة الفنية، لأنها في غاية الأهمية لفهم استراتيجية الكتابة عند كلا المؤلفين، ولإعطاء فكرة عن القصتين "أكفي سوبميرسوس" و"الحرام"، والموضوعات الأساسية فيهما، بحيث يعاد سرد مختصر للقصتين، ومن الإشكاليات المحورية للأدب السردي للقصتين: التداخل والتشابك الموسوم بالذنب والخطيئة لشخوص النصوص السردية، مما يؤدي إلى الصراعات الاجتماعية، ومن ثم يناقش البحث في الروايتين مفهوم الخطيئة لشخوص الرواية، ومن ثم في المجتمع وعلي ذلك سيقضي البحث أثر المفاهيم المختلفة "للخطيئة"، والمقارنة بينهما على وجه الخصوص في الغرب والشرق، ويقوم البحث على معالجة تأثير قواعد ومعايير هذه الخطيئة على شخوص القصتين.

وتناول البحث في فصله الأول المحطات المهمة في السيرة الذاتية لـ "تيودور شتورم" (١٨١٧-١٨٨٨) بما يخدم قضية البحث وأهدافه، فهو كمحام ألماني وكاتب معروف وكشاعر له قصائده وداوينه الشعرية، وأيضاً مؤلف للقصص القصيرة عن الواقعية الألمانية وكاتب روائي، فقد وصف في رواياته المجتمع و حياة الناس في منطقة شمال ألمانيا، لـ "تيودور شتورم العديد من الصداقات، التي كونها عندما انضم في عام ١٨٥٢ الى المجموعة الأدبية "ريتلي" ومنهم على سبيل المثال تيودور فونتانه وفرانز كوجلر، فهذه الصداقات الكثيرة كان لها دورها وأثرها الفعال في إثراء موهبته الأدبية، وذلك بأن ثقلت أعماله من خلال العديد من الاقتراحات والأفكار من أصدقاءه هؤلاء، فأخذ "تيودور شتورم" من صديقه " تيودور فونتانه" الاستراتيجيات الأدبية، التي مارسها في اسلوب عرضة لشخوص أعماله الأدبية، التي كانت تحرك الاحداث بقوة خصوصاً في أعماله الروائية، والتي غالباً ما تنطوي على انتقاده للمجتمع الذي يصفه ويعرض له، وخير مثال على أعماله، كانت روايته "أكفي سوبميرسوس"، فكانت انتقاداته هنا من المؤكد أن تفهم على أنها انتقاد هيمنة البروسية العسكرية التي انتقدها "شتورم"، ومن دائرة أصدقائه في "ريتلي" كان الكاتب "فرانز كوجلر"، والذي أخذ منه فونتانه أسلوبه في تصويره لتاريخ الملك البروسي "فريدريش الثاني"، والذي عرف بين شعبه باسم "فريدريش الأكبر"، والذي كان وريث العرش الذي تربع عليه أباه المستبد "فريدريش فيلهيلم الأول"، الذي نال لقب "الملك الجندي"، فقد كانت وجهة نظر "كوجلر" في شخص "الملك فريدريش الثاني" بأنه من الممكن جعل الصورة الإنسانية للملك الجديد لدى الشعب أكثر إيجابية، كما تناول الفصل الاول في جزؤه الثاني الدائرة الثقافية ليوستف إدريس (1927-1991) فمنذ عام ١٩٣٠ تقريباً نشأ في مصر اتجاه جديد

في الأدب "أدب الواقعية" الذي يقوم على وصف مشاكل المجتمع وبيئته المحيطة ثم يقوم بتحليلها ومن ثم يطرح بعض الحلول أحياناً، وفي ذلك يشبه أسلوب المدرسة الواقعية الغربية، فكان نجيب محفوظ (١٩١١-٢٠٠٦) رائد هذا الاتجاه الواقعي وفيما بعد يوسف إدريس، وخلافاً لدائرة الاصدقاء الرسمية "ريتلى" في ألمانيا، اجتمع الكتاب والصحفيين المصريين بشكل غير رسمي في العديد من المقاهي الثقافية في وسط القاهرة وممارسة حواراتهم الثقافية وبل ومعاركهم الأدبية، وعندما يحل المرء دوائر الصداقة غير الرسمية واجتماعاتهم يصبح من الواضح جداً أن هناك شبكة طيبة من العلاقات الثقافية المتعددة ذات الثقافة الرفيعة من جموع الكتاب والفنانين، ومنا هنا ركز الفصل الثاني على الدوائر الثقافية التي عاش فيها كلا الأدبيين في صدر حياته وشبابه، وركز الفصل الثالث على عرض الأفكار الرئيسية التي كانت الدافع الأول لكتابة الرواية "أكفي سوبميرسوس" عند "شتورم" وكذلك عرض الفصل الثالث في جزئه الثاني على الأفكار الرئيسية للدوافع الأدبية لكتابة رواية "الحرام" عند يوسف إدريس، فمن الدوافع المهمة لـ "شتورم" كانت هناك صورة معلقة في كنيسة "دريلسدورف"، تلك الصورة التي أصبحت مصدر إلهام لكتابة الرواية "أكفي سوبميرسوس"، و"دريلسدورف" هي مدينة صغيرة تقع على بعد حوالي خمسة عشرة كيلومتراً إلى الشمال من مدينة "هوزوم"، والصورة هذه لا تزال موجودة حتى اليوم، وعليها مجموعة شخوص لعائلة أحد القساوسة، وبجوار هذه الصورة هناك صورة أخرى لابن هذه الأسرة وعليها نقش مكتوب اسم صاحبها "هاينرش بونكس" البالغ من العمر عشر سنوات، الذي مات غرقاً في الماء نتيجة لإهمال أحد الموظفين المكلف برعاية الأبن في السابعة عشر من مايو عام ألف وستمائة ستة وخمسون، وغير "شتروم" النص المكتوب أسفل الصورة،

"لم يكن ذلك الحدث بسبب لامبالاة الموظف وإهماله، وإنما بسبب "خطيئة الأب"، أما عن الدافع الأول ومصدر الإلهام لرواية "الحرام" ليوسف إدريس التي نشرت عام ألف وتسعمئة تسعة وخمسين في القاهرة، ليس هناك معلومات محددة، وإنما يمكن فقط افتراض أن طفولة يوسف إدريس انعكست في خبراته الأدبية في تصوير معاناة سكان الريف المصري لكسب عيشهم، ويبدو كما لو كان إدريس يريد أن يذكرّ الرئيس جمال عبد الناصر الذي حكم مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، أن يفى بوعوده التي قطعها على نفسه بتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فكان من المعروف عن يوسف إدريس أنه يمارس أعماله دائماً كطبيب في الأحياء الفقيرة بمدينة القاهرة ويظل يعمل حتى قبيل منتصف الليل، وعندما يغادر آخر المرضى عيادته يترك نور مصباح غرفته مضاءً حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي وهو لا يزال مشتعل، ويهمس الجيران: "إن الحكيم يجسد أحلامه"، وكان إدريس يصرح بأن حياة القرية، والقمع الاجتماعي والظلم ضد الفلاحين، هو ما يجلب أشدّ الضرر إلى نفسه، ويترك انكسارات عميقة في روحه.

وعرض الفصل الرابع لمحتوى الروايتين اللاتين يعالجهما البحث "أكفي سوبميرسوس" لـ "تيودور شتورم" و"الحرام" ليوسف إدريس، بما يخدم عملية المقارنة بين الروايتين، وعالج الفصل الخامس بالبحث عن الأصول اللغوية والعلمية لمصطلح الخطيئة في الغرب والشرق، ففي كل من الروايتين يوجد تمثيل لمفهوم الخطيئة بإعتباره حجر الزاوية الرئيسية لشخوص الروايتين ويمثل المصطلح القلب في كل عمل، فأحداث الروايتين تجري في ثقافتين مختلفتين، حيث يتعرض البحث لأصل هذا المفهوم الرئيسي في العملين بالتفصيل في كلا المجتمعين.

وخلص البحث إلى أن كلا من "تيودور شتورم" ويوسف إدريس عاشا في زمن الاضطرابات الوطنية، ونشأ كلا من المؤلفين في أسرة من الطبقة الوسطى التي جعلتهم في مستوى من التعليم الجيد، وكان كلا من الكاتبين موظفاً اكتسب قوته من عمل يده، فأشتغل "شتورم" بمهنة المحاماة وأشتغل إدريس بالطب، وكان كلاهما من مؤلفي القصص القصيرة، والتي كان لهذه الكتابات بصمتها الإقليمية في المجتمع وعالم الأدب ذو الاتجاه الواقعي، على الرغم من اختلاف الزمن الذي عاش فيه الرجلين، والواقعية لم توجد في الأدب المصري إلا في العشرينيات من القرن العشرين وتأثرت البيئة الفنية للكاتبين بصحوة المجتمع القومية وانعكس ذلك في شخوص العاملين، فمارس "شتورم" حياته تحت هيمنة "أوتو فون بسمارك"، أما إدريس فأدرك الفترة الخلاقة أثناء نشأت ما يعرف بالدولة الوطنية وعصر القومية العربية التي بلغت ذروتها إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر بعد عام ١٩٥٢.

الخلفية التاريخية والبيئة الاجتماعية في الروايتين المستهدفتين بشكل خاص لديهم قاسم مشترك للمقارنة، فمارس كلا من الكاتبين في عمليهما نقداً غير مباشر للمجتمع، الذي يتولى زمام السلطة، وكذلك الحال عند غيرهم من شعراء الواقعية، حيث سلطوا سهام هذا النقد من خلال الشخوص الرئيسية في الروايتين. فإننا نجد في رواية تيودور شتورم نقد موجهاً إلى الطبقة الأبرز والأهم في المجتمع، أو بمعنى آخر الطبقة الحاكمة في بروسيا بصورة واضحة، فكان النقد ضد طبقة النبلاء مثل "يونكر فولف"، و ضد الكنيسة مثل طبقة القساوسة، كما تقدم الرواية الطبقة الوسطى باعتبارها الطبقة المثالية داخل المجتمع، والتفكير في عمل ثنائية رومانسية بين "كاترينا ويوهانس"، ولكن تحت تأثير الأفكار الليبرالية التي نشأت في عام ١٨٤٨، عندما اضطر "شتورم"

ان يغادر منزله أثناء الاحتلال الدينامركي، ومن ثم تحولت أفكاره وآراؤه الاعتبارية الى اشمئزاز من المجتمع البروسي، فمارس نقده ضد المجتمع المستهلك لشعبه من خلال شخصوه، على سبيل المثال فيما يتعلق بمصير شخصية الرسام "يوهان"، فقد كان السيد "يوهان" هذا عضواً في مجلس البلدية ونائب رئيس البلدية في نفس الوقت، وكان يعاني من الممارسات اللاإنسانية من نظام العدل الكائن آنذاك، لأنه كان من الواجب عليه أن لا يراعى ولا يهتم من الضحايا الذين وقعوا فريسة لهذا النظام الجائر، والذي من المفترض أن يحقق لهم عدالة تضمن لهم حقوقهم، وفي النهاية ينهار هذا الفنان مرهف الشعور انهياراً تاماً، عندما وجب عليه أن يشارك على الملأ ووسط الجماهير في حرق جثمان لسيده من عامة المواطنين، اتهمت بممارسة السحر، وما صاحب ذلك الحدث، حيث أطلق العنان لأحد الغوغاء من الجماهير المحتشدة، لمضاجعة المرأة الميتة قبل حرقها، ومن هنا مارس "شتورم" نقد لمجتمع حاول أن يفهم تفاصيله ويخرج بنتيجة، وهو أن ما يراه ليس إلا نتيجة وحيدة ومزرية مردافه تماماً لنظام الحكم في بروسيا.

أما في رواية "الحرام" ليويسف إدريس، التي مارس نقده فيها بأسلوب غير مباشر في شكل رواية بوليسية اجتماعية سياسية، فرواية "الحرام" انشغلت بمطالب سياسية واجتماعية تبشر ببزوغ فجر لعصر جديد، تلك المطالب التي بطنها إدريس، بما لا يتناقض مع متطلبات العصر الحديث ويخالفه في مجتمع الرواية، فاتجه في روايته ضد كل ما هو سيء ومعادي لأفراد المجتمع، فشكّل هذا النقد موضوعاً مهماً من الموضوعات الموجودة ضمن الموضوعات الروائية والتي يجب أن تلغى، فناقش البحث طبقة الإقطاع من ملاك الأراضي الزراعية، وجشعهم واستغلالهم للآخر، فمن هذا الاستغلال من النظام الإقطاعي المتحكم

بالسلطة، ظل يمارسه لتمويل أسلوب حياته الغارقة في الترف والبذخ، فالأخلاق والعادات والتقاليد لم تقدم أي قيمة حقيقية تذكر للمساهمة في تحضر المجتمع، وبدون وازع اعتدى ابن صاحب الأرض على تلك الفلاحة وتعامل معها بشكل غير إنساني، وكان هذه الثمة كانت مسئولة مع أشياء أخرى عن تخلف المجتمع، وعلى الرغم من أن إدريس وصف الإقطاع ووجه القبيح ومساوئه، لكنه لم يذكر إلى أين ينبغي للمجتمع أن يتجه، وكيف له أن يتطور، هذا التناقض يمثل خيط أحمر داخل هذه الرواية، فوصف إدريس الأحداث داخل روايته في الوقت الذي لم تبدأ فيه عملية الإصلاح الزراعي، لكنه كان يتوق لمثل هذا الإصلاح، لكنه لم يجسده مباشرة ومع ذلك، فهذه الرواية حملت الكثير من النقد الاجتماعي، لأنها تصور المجتمع المصري قبل الثورة عام ١٩٥٢ التي خطط لها عبد الناصر ورفاقه، لأن تصورات يوسف إدريس الواقعية كانت أعراب لهذا الأمل في الإصلاح العام، ومن ثم الإصلاح الزراعي، ولكنه اضطر أن يجعل رؤيته وآماله من قبيل المشاريع الطوباوية، فطموح التصنيع المتسرع تعثر فيما بعد على نحو متزايد، فطفولته الخاصة وصفها إدريس في رواية "الحرام" وحققتها في نصوص أدبية ومارس نقداً غير مباشر كما هي الحال عند "فونتانه وشتورم" ضد الحكومة على ما يبدو، ومطالباً لهما بالرعاية والاهتمام بمصلحة المجتمع.

أما الدراسة الثالثة دراسة مقارنة بين طبعيتين مختلفتين لرواية "بينى الناس بأنفسهم اقدارهم" للكاتب هانز فاللادا مجلة فيلولوجى جامعة عين شمس العدد الثاني والعشرين ٢٠١٦

Eine komparatistische Analyse der zwei „Jeder stirbt für sich allein“ Versionen des Romans von Hans Fallada

دراسة مقارنة لطبعتين مختلفتين عن رواية "كل إنسان يصنع مصيره" للكاتب هانز فاللادا.

لقد قال عالم اللغة الروماني "تيرينتanos ماوروس" قديماً في القرن الثاني قبل الميلاد قوله المأثور "للكتب أقدارها"، فهذا القول المأثور يمكن ترجمته بصيغ مختلفة، بحيث يتم ترجمته وفقاً لمقتضى الحال وإرادة قول القائل، وهذا المثل اللاتيني من قصيدة تعليمية وهى للأسف وصلت إلينا غير مكتملة، وطبقاً لهذا المبدأ، الذى سوف يُتَّبَع في هذه الدراسة عن مصير رواية هانز فاللادا "يصنع كل إنسان مصيره".

يقوم أساس هذا البحث على طبعتي الرواية الصادرة منذ عام ١٩٦٣ والتي كانت عن الطبعة الأولى الصادرة عام ١٩٤٩ فكان من غير الممكن الحصول عليها بين طبعة الرواية الصادرة عام ١٩٤٧، وعلى كل حال فكلا الطبعتين لهما نفس المحتوى وإن اختلفتا في توظيف النص وإعادة صياغته وتوجيهه لكي يخدم الواقع السياسي والاجتماعي الجديد.

ويهدف البحث هنا الى مقارنة النصوص، التي قام بتغييرها المحرر الصحفي والكاتب السياسي "باول فيجلر" من نصوص الطبعة الأولى وأدخلها إلى الطبعة الثانية الصادرة عام ١٩٦٣، هذه النصوص تعتبر من أوجه القصور في الطبعة الأخيرة والتي عالجهما البحث على نطاق واسع.

وفي الواقع أن طبعة عام ١٩٦٣ هي طبعة أصيلة المحتوى، فإن أي قارئ يتعرف من البداية على أصلية هذه الطبعة، حيث توجد ترويسة أعلى

الصفحة الأولى تشير إلى أن من اعطني بهذه الطبعة هو: "السيد/ باول فيجلر"، أما عن التغييرات الواسعة التي أرادت دار نشر "البناء" ببرلين الشرقية عام ١٩٤٩ بإدخالها، حيث قامت بعمل الكثير من التغيير في نصوص الرواية من خلال السيد "باول فيجلر"، الذي أنجز عمل هذه التغييرات.

يكمن فهم السبب وراء الإصدار الجديد للرواية عندما تم تصويرها كفيلم سينمائي في جمهورية ألمانيا الاتحادية وكذلك يكمن السبب في مشاركة الاهتمام المتزايد عن مادة الرواية والرغبة في الحصول على التغييرات الضرورية والملحة، التي حدثت في محتوى الرواية.

تقص علينا أحداث الرواية من خلال ساردها، حيث أنها تحكي عن المقاومة السياسية لزوجين يعملان ضد النظام النازي، وقد نشرت الرواية في الفترة، التي كانت القوة المنتصرة تسود وتسيطر على مختلف الولايات الألمانية، فالمنطقة الغربية كانت تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا وفرنسا، والتي عرفت بجمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) وعلى النقيض من ذلك، كانت جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) تحت السيطرة الروسية، وبالتالي يسمى هذا الاقليم بمنطقة الاحتلال السوفيتي، وكان لهذا الوضع السياسي التأثير الكبير في ظهور الرواية، ولذلك يهدف البحث على وجه التحديد لدراسة التطور الاجتماعي والسياسي في منطقة الاحتلال السوفيتي، وبمعنى أدق في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، لأن دار النشر، التي قامت بنشر الرواية، كانت تقع في برلين الشرقية، أي في منطقة الاحتلال السوفيتي.

تم معالجة التأثيرات الاجتماعية في بداية البحث التي أدت لنشر الرواية عام ١٩٤٩ أو بمعنى آخر عام ١٩٦٣، حيث كانت هناك تجديلات

اجتماعية-سياسية في جمهورية المانيا الشرقية وبالأحرى في مدينة برلين الشرقية، والتي أدخلت الى الطبعة الجديدة في الرواية، حيث أعدها وقام بتحديدها، ومن ثم أدخلها الى نصوص الرواية السيد "باول فيجلر"، والهدف الأول الذي وضعه البحث نصب عينيه هو استخلاص وتتبع أثر عملية التحويل، التي كانت بالغة الدقة والحساسية في نصوص الرواية، التي تولى مسئوليتها المحرر "باول فيجلر" بدلا من مؤلفها الأساسي "هانز فاللاد"، الذي كان قد توفي بالفعل في هذا الوقت، وما إذا كانت هذا التغييرات الاجتماعية والسياسية بالنسبة لتحرير ومعالجة نصوص الرواية لعبت دوراً حاسماً من عدمه، هو ما اقتضى أثره هذا البحث.

واحتوى البحث في فصله الأول على التغييرات الاجتماعية والسياسة الكبرى، التي حدثت وقت ظهور الرواية، حيث كان الناس حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ مازالوا ينتمون الى الأيدولوجية الاشتراكية القومية (النازية)، أما الآن، أي وقت أن تم نشر الرواية عام ١٩٤٩، فقد تحول الناس الى الأيدولوجية الشيوعية أو المذهب الاشتراكي في برلين الشرقية، فبعد الاستسلام كان يجب على المواطنين الألمان الذين يسكنون في جمهورية ألمانية الديمقراطية، أن يتخلوا عن الأيدولوجيات الأخرى، وأن يتحولوا الى اللينينية - الستالينية، وتناول الفصل الثاني نشأة الاتحاد الثقافي ومبادئه، إن هذا الاتحاد الذي تأسس عام ١٩٤٥ وكان ضمن أعضاءه "يوهانس بيشر"، وزير الثقافة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية فيما بعد، "وباول فيجلر" وآخرين وكان اسمه الرسمي "الاتحاد الثقافي من أجل التجديد الديمقراطي في ألمانيا"، باعتباره منظمة جماهيرية وكان الاتحاد الثقافي يهدف للـ "النهضة الوطنية" و "استعادة الثقة والاحترام للعالم"، وكانت أهم مبادئه ما يلي:

١. تدمير الأيديولوجية النازية في جميع مجالات الحياة والمعرفة، ٢. مكافحة المؤلفات الفكرية، التي تمجد جرائم النازية وجرائم الحرب، ٣. مكافحة جميع الآراء الرجعية والعسكرية، ٤. تطهير وتنقية الحياة العامة، ٥. التعاون مع جميع الحركات العقائدية والدينية والكنسية، التي تهتم بنشر الديمقراطية، هذه المبادئ التي قام "باول فيجلر" بإدخالها وعمل على تطبيقها بكل وضوح داخل رواية هانز فاللادا، فأقتضي هذا البحث أثرها ومن ثم عمل على إظهارها وتحليلها، أما عن الفصل الثالث فقد عالج التغيير في اتجاه الفن، لأن التجديدات الاجتماعية والسياسية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية أدت أيضا الى تغيير المسار في السياسة الثقافية، فقبل الحرب العالمية الثانية كانت تسود الموضوعية الجديدة كاتجاه رئيسي ثقافي وفكري، أما وقد سيطرت القوات السوفيتية على الأرض، فقد حلت الآن الواقعية الاشتراكية كاتجاه فني إلزامي محل الاتجاه السابق لجميع الفنانين في منطقة الاحتلال السوفيتي، وكانت هذه الواقعية الاشتراكية كاتجاه فني شيوعي وايدولوجي حتى نهاية القرن العشرين، وتتميز بأنها قريبة من الواقع الحقيقي ولا يسمح فيها بالتجريد، وعرض الفصل الرابع للتغييرات التي أحدثها باول فيجلر في بعض عناوين فصول الرواية وفي فهرس المحتويات، بما يتماشى مع الواقع الجديد في الثقافة والأدب، وتناول البحث في فصله الخامس معالجة الفصل السابع عشر من الرواية، حيث كان هذا الفصل مفقوداً تماماً في الطبعة الأولى، حيث فوجئ القارئ بوجود فصل إضافي جديد وكان بعنوان "أذاً كفانجل تحرر نفسها" ومعالجة النصوص التي تم تغييرها، وأما الفصل السادس في البحث فكان عنوانه "التحول في شخصية أذاً كفانجل" مع معالجة النصوص التي قام السيد "باول فيجلر" بتغييرها، والفصل السابع ركز على فكرة الاستبعاد الكامل لمظاهر الغضب داخل

شخصية "آذا كفانجل"، وتعرض الفصل الثامن في البحث للغة العامية المستخدمة في نصوص "هانز فاللادا" ومقارنته بالعامية الأنيقة التي أستبدلها "باول فيجلر" مقابل اللغة العامية التي استخدمها "هانز فاللادا" في بعض نصوص الرواية، بعدما تم تغييرها على يد السيد "باول فيجلر" من نصوص الطبعة الأولى.

ومن خلال الإصدارين المختلفين لرواية "كل انسان يصنع مصيره" للكاتب "هانز فاللادا"، حيث توصل البحث من خلال المقارنة بين هذين الإصدارين، بأن هناك تغيرات أدخلت على الإصدار الأخير للرواية تتناسب مع حالي التطور والتغير في المجتمع الألماني بعد سيطرة الاتحاد السوفيتي على هذا الجزء المهم على الأرض الألمانية، والذي كان يعرف بجمهورية المانيا الديمقراطية، فكانت وظيفة المحرر والكاتب "باول فيجلر" في دائرة التكتل الاجتماع-سياسي، الذي تم إنشائه بين مجموعة "أولبرشت" والذي عرف باسم "الاتحاد الثقافي" من جهة ودار النشر "البناء" التي كان مقرها "برلين الشرقية" من جهة أخرى، بأن يقوم السيد "باول فيجلر" بعمل تغير ومعالجة لنصوص الرواية تتفق مع مبادئ التحول الثقافي الذي تشكل في المانيا الشرقية تحت سيطرة القوى المنتصرة "الاتحاد السوفيتي" آنذاك، وعلى وجه الخصوص في مدينة "برلين الشرقية"، وأن تتم هذه التغييرات تحت مظلة "الاتحاد الثقافي من أجل التجديد الديمقراطي في ألمانيا"، والذي أنشأه الاحتلال السوفيتي وحسب مبادئ هذا الاتحاد، وفي المقابل، تأسست دار النشر "البناء" بدعم من "الاتحاد الثقافي"، الذي كان المكان الأمثل الذي تحقق دون الطموحات الاقتصادية، ولكن ينبغي الاعتراف بأن دار النشر "البناء" ساهمت في ازدهار مستقبل الحياة الثقافية بقوة في هذا البلد آنذاك.